● شكلت ثورة 14 أكتوبر 1963م حركة التحول الحقيقي بعد مراحل متعددة وطويلة من نضالات وكفاحات شعبنا اليمني، بدأت منذ وطأة أقدام المستعمر الأرض اليمنية، ففي عام 1838م حين زعمت بريطانيا العظمى أن بعض الصيادين في المياه الإقليمية اليمنية، اعتدوا على قبطان السفينة (دوليا)، وكان ذلك مجرد ذريعة وتبرير واهٍ لكي تحتل بريطانيا مدينة عدن، بهدف تأمين المصالح الاقتصادية لمستعمراتها المختلفة، لاسيما في شبه القارة الهندية، وبذلك أباحت لنفسها السيطرة على جزء مهم من الوطن عندما دخلت على إثر ذلك التاريخ السفن الحربية البريطانية بقيادة الكابتن (هنز) السواحل اليمنية.

لم تتوقف تلك المقاومة طوال تواجد المستعمرين على التراب اليمني إلا بعد إخراجهم منها، واستمرت المقاومة طيلة وجود المحتل البريطاني في جنوب الوطن اليمني، بل إنها ازدادت ضراوة عقب إعلان لندن عام 1840م أن عدن جزء من السيادة التابعة للامبراطورية البريطانية وقد أدى هذا الإعلان إلى تأجيج المقامة وارتفع حماس اليمنيين في الدفاع عن وطنهم وشملت كل المحافظات الجنوبية، رغم لجوء المستعمر البريطاني إلى سياسة الترغيب والترهيب في أن واحد معاً عله يخمد شعلة المقاومة أو يطفئها وتتمكن بريطانيا من السيطرة المطلقة على تلك المناطق من الوطن.

إلا أن سياسة الترغيب والترهيب التي اتبعها الإنجليز لثني إرادة الشعب اليمني لم تنجح في إيقاف المقاومة، فلجأ المستعمر إلى أساليب التوائية أخرى وطرق مختلفة كان أبرزها إعلانه عن سلطنات ومحميات ما أسماه بالجنوب العربي ضمن سياسة تقسيم اتبعها المستعمر البريطاني في محاولة من إنجلترا لبسط نفوذها وإظهار تلك السلطنات المستحدثة على أنها مستقلة، فيما هي في الحقية تتبع المندوب السامي البريطاني في عدن.

ورغم اتباع المحتل لتلك الأساليب والحيل بهدف إطالة أمد بقائه ومد سيطرته إلا أن المقاومة الوطنية لم تنطلِ عليها تلك الأساليب ومضت في مشروع التحرر وطرد المستعمر، بل وزادت من تصعيدها ضد الوجود البريطاني ، فكان أن لجأ المستعمر إلى سياسة (فرق تسد) وجعل منها نظرية متكاملة، ومتداولة وخصوصاً في المناطق الخاضعة لسيطرته، وقد استطاع من خلالها إطالة فترة بقائه ، حيث ظل جاثما على جنوب الوطن 129 عاماً ، وهي فترة ليست بالقليلة ألقت بظلالها السلبية على جوانب الحياة المختلفة.

لذلك كان لابد من أن تتشكل خلايا جديدة لمقاومة التواجد البريطاني ، نتج عنها توالد تنظيمات وحركات شعبية مختلفة أجمعت في كل مكوناتها على مقاومة المستعمر وإخراجه من الأرض اليمنية.

وكان أبرزها الجبهة القومية، وجبهة التحرير، لقد كان لقيام ثورة 26 سبتمبر الأثر الكبير للثورة ضد المستعمر في الجنوب والتي انطلقت شرارتها الأولى في الـ 14 أكتوبر 3691م بقيادة المناضل الشهيد راجح بن غالب لبوزة من جبال ردفان، وخلال أربع سنوات، خاض المناضلون مواجهات عسكرية مع القوات البريطانية في جميع جبهات القتال زلزلت مواقع وتجمعات المستعمر البريطاني حتى أجبر على الرحيل في الـ30 من نوفمبر 1967م بعد أن وحدت هذه الثورة فصائل العمل الوطني، كما أن ثورة 14 أكتوبر خطت واقعا جديدا لجزء مهم من الوطن اليمني وأصدرت في بداياتها الأولى مجموعة من القوانين واللوائح الثورية، ساهمت تلك القوانين والإجراءات في التعجيل بنجاح الثورة ودحر المستعمر وكان من أبرز هذه القوانين إلغاء السلطنات وبناء الدولة المركزية، وفقاً لأسس ومعايير راعت من خلالهما ارتباطها الوثيق بثورة 26 سبتمبر 1962م، ضمن علاقة تمازجية جسدت واحدية الثورة اليمنية، وأثبتت أن العمل الوطني جزء لا يتجزأ، وقد أنتج ذلك التوحد بين الثورتين والارتباط الوثيق بينهما أن استعاد الشعب اليمني وحدته كهدف من أهداف ثورتي سبتمبر وأكتوبر المجديتين، وفي ما يلي نرصد أبرز وأهم المراحل التاريخية والإرهاصات الأولى لثورة الـ14 من أكتوبر التي نعيش ذكراها الثامنة والأربعين:

اعداد/ صفوان الفائشي

مسيرة تاريخية حافلة بالتضحيات والاستبسال في سبيل الوطن

المراحل التاريخية لثورة 14 اكتوبر..

والإرهاصات التي سبقت انطلاق شرارتها الأولى

مثّل يوم الـ ٢٧ من ديسمبر عام ١٩٥٠م ذروة الانتفاضة الوطنية لأبناء مدينة المكلا ضد عملاء الاستعمار، حيث عبر أبناء حضرموت عن رفضهم للهيمنة الاستعمارية وتوقهم للخلاص من الوجود الاستعماري.

وفي يوم ٤ يناير/١٩٥٤م بدأت بريطانيا بوضع مخطط بشأن إقامة ما أسمته اتحاد الجنوب العربي الذي يضم المحميات الغربية والشرقية لمستعمرة عدن. جاءت فكرة الاتحاد في خطاب ألقاه الحاكم البريطاني على عدن (توم هيكتبوثام) في اجتماع دعا إليه سلاطين ومشايخ «محميات عدن الغربية». وكان هدف الاتحاد -كما كشف عنه الخطاب- إقامة اتحاد فيدرالي يضم محميات عدن الشرقية، وآخر يضم محميات عدن الغربية مع الإبقاء على مدينة عدن بمثابة كيان قائم بذاته ومنحه حكماً ذاتياً في إطار الكومنولث البريطاني. يذكر أن الاستعمار البريطاني قد عمل على تقسيم جنوب الوطن إلى ٢١ إمارة وسلطنة ومشيخة بالإضافة إلى مستعمرة عدن. وكان لكل منها كيانها السياسي والإداري وحدودها وعلمها وجواز سفرها وجهازها الأمني، والمرتبطة في الأخير بالمندوب السامي البريطاني في عدن.

وفي ١٤ فبراير /١٩٥٥م بدأت التمردات القبلية ضد التواجد البريطاني في إمارة الضالع بمقتل أحد المسؤولين البريطانيين العاملين في عدن ويدعى «موندي» عند زيارته للمستشار البريطاني في الضالع على يد اثنين من حراسة حاكم الضالع، تمكنا من الفرار إلى قعطبة إثر تنفيذ هذه العملية الشجاعة.

تأسيس المؤتمر العمالي

في ٣ مارس / ١٩٥٦م تم تأسيس المؤتمر العمالي في عدن، وهو اتحاد ضم ٢٦ نقابة عمالية ومهنية، تولى قيادة الحركة العمالية في عدن والمطالبة بحقوقها. وكان من أهدافه تحقيق الوحدة اليمنية. وكانت مدينة عدن قد شهدت حوالي (٣٠) إضراباً عمالياً، وفي يونيو من العام نفسه قام الثوار في بيحان محافظة شبوة بالهجوم على المركز الحكومي، وفي خريف عام ١٩٥٦م أثارت الأحداث – التي شهدتها مصر، إثر العدوان الثلاثي على مصر من قبل إسرائيل وفرنسا وبريطانيا – غضب الشعب اليمني، فازدادت وتيرة العمل الوطني، ضد التواجد البريطاني في المستعمرة عدن والمحميات الشرقية والغربية، فعمل المستعمرون على زيادة التوغل في المناطق الريفية لاسيما المحاذية لأراضي ما كان يسمى حينها المملكة المتوكلية في الشمال، لهذا شعر الإمام أحمد بخطورة هذا التدخل من جهة وما يشهده الشطر الشمالي من نهوض حركي ووطني يهدد نظامه، فعمل على تمتين علاقته بمصرَ العربية والدول الاشتراكية سابقاً، فتدفقت الأسلحة على ميناء الحديدة فعمل الإمام على دعم الانتفاضة الثورية في المحميات الغربية والشرقية مثل الضالع وردفان والصبيحة ولحج ويافع والعوالق العليا والعوالق السفلى والفضلي وبيحان حتى أنّه أطلق على الفترة «٥٦ – ١٩٥٨م» في المحميات «أيام الشيوعية» بغرض تشويه سمعة الثوار.

وفي يوم ٢١ ديسمبر: القوات البريطانية في الضالع تلاحق رجال قبائل الحميدي والأحمدي والمحاربة والأزارق وهديان، بعد تعرض المراكز العسكرية البريطانية لهجمات متكررة من قبل أولئك الرجال أدت إلى مقتل وجرح العديد من أفراد تلك المراكز. وقد جاءت تلك الهجمات عقب تزويدهم بالسلاح من قبل حكومة الشطر الشمالي.

إسقاط مركز عسكري في الضالع

١٩ فبراير /١٩٥٧م : المركز العسكري البريطاني في الحرف منطقة الأزارق – إمارة الضالع يسقط بيد مجاميع من قبائل الأحمدي والمحاربة والأزارق واستسلام جميع أفراده.

وقد شهدت المحميات الغربية في شهر فبراير من العام نفسه أكثر من خمسين حادثة معظمها إطلاق نار على المراكز البريطانية وعلى المسؤولين المحليين في كلٍ من ردفان وحالمين والضالع، وفي ٢٤ فبراير ١٩٥٧م نصب (١٦) رجلاً من قبيلة الأزارق ذي جلال كميناً لدورية عسكرية بريطانية تتكوّن من (٢٢) فرداً من أفراد قوات (الكاميرون مايلاندر) أسفر عن مقتل اثنين من الدورية وإصابة ستة بجروح.

وفي مارس من العام نفسه قام طيران المستعمر البريطاني بقصف عدد من القرى في الأزارق والمحاربة وبني هديان ودمر قرية الذنبة (الأزارق) تدميرا كاملا، فلجأ الأطفال والنساء والشيوخ إلى كهوف الجبال مأوى لهم طيلة فترة القصف التي دامت تسعة شهور متواصلة. وبعد توقف العمليات الجوية لم يعودوا إلى قراهم بل توجهوا إلى مدينة قعطبة. وقبيل إنهاء البريطانيين للعمليات الجوية تمكن عدد من قبائل المحاربة من إسقاط طائرة عسكرية بريطانية بعد أن اعتلوا قمة أحد المرتفعات وأمطروها بالرصاص فسقطت وقتل طيارها الذي أرسل رأسه ويده إلى نائب الإمام في إب، فكافأهم بمائة بندقية «بشلي» وكمية من الرصاص ومبلغ مالي.

وفي أغسطس من العام نفسه أيضاً بدأت انتفاضة قبيلة الشعار في إمارة الضالع، فتضامن معهم أبناء القبائل الأخرى، حتى أنّه عند مرور القوات العسكرية الخارجة من عدن عبر لحج لقمع تلك الانتفاضة وزعت منشورات في لحج، تدعو أفراد جيش الليوي والحرس الحكومي إلى الثورة والهروب من الخدمة العسكرية، وتمّ رشق تلك القوات أثناء مرورها بلحج بالحجارة، كما انتفضت قبائل بيحان ودثينة وقامت القوات البريطانية باعتقال العديد منهم وصادرت الممتلكات.

تأسيس جبهة العاصفة العدنية

وبعد استشعار الإمام أحمد لخطر تنامي الوعي الوطني الذي بدأ يتشكل في شمال الوطن وجنوبه ، أوقف الدعم المحدود الذي كان يمد به المقاومة في الجنوب ،وعلى إثر هذا التوقف ازدادت الهجمة العسكرية البريطانية ضد القبائل الثائرة التي لم تجد معظمها – وخاصة القيادات – من وسيلة سوى اللجوء إلى المناطق الشمالية أو الهجرة إلى دول عربية مثل الكويت والسعودية، ومع ذلك فإنّ تلك القيادات التي لجأت إلى الشمال، قبل قيام ثورة «٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م» حاولت أن تتخذ من الشمال قاعدة لانطلاقتها النضالية ضد المستعمر، وتكوَّنت في هذا العام ١٩٥٧م جبهة أسميت (العاصفة العدنية) بقيادة محمد عبده نعمان الحكيمي – الأمين العام للجبهة الوطنية المتحدة، وكانت تذيع برنامجاً إذاعياً من إذاعة صنعاء باسم (صوت الجنوب)، لكن الإمام رفض أي نشاط لهم في صنعاء، فعملت مجموعة من المناضلين على تكوين تجمع جديد لهم في منطقة البيضاء الحدودية برئاسة محمد عبده نعمان الحكيمي ومقبل باعزب وباشتراك عدد من رؤساء القبائل ومنهم : أحمد سالم الحميري وعمر سالم الدماني والعاقل حسن المجعلي وعبدالله مساعد المصعبي وناصر علوي السقاف ومحمد صالح الحوشبي والسلطان محمد عيدروس ومحمد صالح المصلي وعيدروس بن أحمد وأمذيب صالح بن فريد، وأسسوا هيئة تحرير الجنوب اليمني المحتل وحصلوا على بعض الأسلحة من مصرَ عام ١٩٦٠م، لكن الإمام لم يسمح بخروج هذه الأسلحة من ميناء الحديدة.

حصار ومعارك وإضراب

وفي العام ١٩٥٨م رفض سلطان لحج علي عبدالكريم الانضمام إلى اتحاد الجنوب ، فأرسلت بريطانيا في نيسان أبريل ١٩٥٨م (٤٠٠٠) جندي تدعمهم الأسلحة الثقيلة واحتلت السلطنة، تحت مبرر اكتشاف مخازن للأسلحة والذخائر، وإثر ذلك نزح جزء من قوات سلطان لحج إلى تعز وبلغ عددهم ٤٥ ضابطاً و٣٠٠ جندي.

وفي ٢٢ أبريل ١٩٥٨م قامت قبائل الشاعري والدكام والحميدي والأحمدي والأزرقي والمحاربة وجحافة وبني سعيد وحالمين وردفان باحتلال مركز (السرير) في جبل جحاف بقصد السيطرة عليه، أما في يافع السفلى فقد نشب خلاف بين السلطان محمد عيدروس والبريطانيين على أسعار القطن الذي كانت تتحكم به السلطات البريطانية، فعملت بريطانيا على عزل السلطان محمد عيدروس الذي قاوم الإجراءات البريطانية، فاستمرت العمليات القتالية بين السلطان عيدروس وقوات الاحتلال البريطاني من فبراير ١٩٥٨م إلى أبريل ١٩٦١م واستخدمت القيادة العسكرية البريطانية كل وسائل التدمير ضد قوات السلطان بما فيها الطيران الذي دمر تدميراً كاملاً معقل السلطان محمد عيدروس في قلعة (القارة) الحصينة في يافع وإثرها نزح السلطان عيدروس إلى تعز.

وفي ٢٢ إبريل أيضاً ١٩٥٨م قام المئات من قبائل إمارة الضالع ومعهم بعض من قبائل حالمين وردفان، بمحاصرة مركز الحرس الحكومي في رأس جبل جحاف، حيث وجد نائب المستشار البريطاني في الضالع «روي سومر ست» نفسه محاصرا في المركز بعد وصوله إليه للتحقيق في عدد من الحوادث التي جرت في الجبل، وكان رجال القبائل قد سيطروا على الجبل بأكمله بعد معارك شرسة مع القوات البريطانية. وقد جاءت هذه العملية بعد استدعاء مشايخ وأعيان وعقال إمارة الضالع وغيرهم من مشايخ حالمين وردفان ممن كانوا قد حصلوا على السلاح من الإمام، استدعوا إلى قعطبة وكلفوا من الإمام بواسطة نائبه في إب، بشن هجوم على جبل جحاف والسيطرة عليه ومن ثم التقدم نحو الضالع، إلا أن السلطات البريطانية تمكنت من فك الحصار يوم ٢ مايو ١٩٥٨م بعد معركة شرسة.

إضراب شامل

وفي شهر ابريل من العام نفسه شهدت عدن إضراباً عاماً شمل مختلف القطاعات الإنتاجية والخدمية، بسبب الغلاء وتدفق الهجرة الأجنبية إلى المدينة بتشجيع من السلطات الاستعمارية البريطانية، التي كانت في يناير ٥٤م قد أصدرت قانوناً للهجرة، أعطى الأولوية لهجرة الأجانب إلى عدن، ووضع قيوداً مشددة على أبناء المحميات وشمال اليمن من دخولها، الأمر الذي أثار مخاوف الحركة الوطنية من أن تطبيق هذا القانون سيؤدي إلى غلبة العنصر الأجنبي في المدينة، وكان القانون قد منح الأجانب حق المواطنة بمجرد بقائهم في عدن عدة سنوات، إذ استقبلت عدن ما بين عامي ٥٣ و٥٦م، ٢٧ ألف مهاجر أجنبي سنوياً، بالإضافة إلى قانون الهجرة، أصدرت السلطة البريطانية قانون الجنسية الذي أطلق عليه «قانون التعدين» حددت فيه الشخص الذي يحق له حمل الجنسية العدنية وممارسة الحقوق السياسية. كما أعطى القانون حق المواطنة للبريطانيين وكل أبناء دول الكومنولث، وحرم منها أبناء اليمن شمالاً وجنوباً.

وفي ١٩ يوليو ١٩٥٨م اندلعت انتفاضة قبائل سيسان والمناهيل في حضرموت، كما قامت قبائل الربيزي في العوالق في مارس ١٩٥٩م بإجبار القوات البريطانية على الانسحاب من المراكز العسكرية التي أقاموها في العوالق، فقامت القوات البريطانية بقصف مناطق تلك القبائل بواسطة الطيران ما أدى إلى استشهاد عدد من الثوار وأحرقت المزارع، وأبيدت المواشي وشردت الأسر ولجأ الثوار إلى الجبال لمواصلة المقاومة.

رفض الانضمام لاتحاد الجنوب

وفي ١١ فبراير من العام ١٩٥٩م تم الإعلان رسمياً عن تأسيس «اتحاد إمارات الجنوب العربي» وضم سلطنة الفضلي وسلطنة العواذل وإمارة بيحان وإمارة الضالع ومشيخة العوالق العليا وسلطنة يافع السفلى. وأنشئ للاتحاد مجلس وزراء باسم

■ جسد اليمنيون وحدتهم الوطنية

من خلال تلاحم وطن خلاق في ميادين النضال